مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٧)، العدد (٢)، ص ص ٧٦٩-٨٠٥، (ربيع ثاني ١٤٣٥هـ/ فبراير ٢٠١٤)

أعمال حكام المغول الخيرية في الحرمين الشريفين
خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

أ. د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي
قسم التاريخ . جامعة القصيم

ملخص البحث. نجحت القوات المغولية في إخضاع مشرق الدولة الإسلامية والعراق لحكمها بعد القضاء على الخلافة العباسية وإقامة دولة مغولية عرفت باسم دولة الإيلخانيين سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، ومنذ عهد الحاكم الإيلخاني أحمد تكودار (٦٨١ - ٦٨٣هـ/١٢٨٢ - ١٢٨٤م) دخلت دولة المغول الإيلخانيين مرحلة جديدة، بعد أن أعلن هذا الحاكم الدخول في الإسلام، ثم توطد ذلك بعد تولي غازان بن أرغون السلطة (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/١٢٩٥ - ١٣٠٤م)، والذي حرص على جذب أكبر عدد ممكن من المغول للدين الإسلامي ، وجعل الدين الإسلامي الدين الرسمي لدولته. وبذلك أصبحت الدولة المغولية الإيلخانية قوة تدافع عن الإسلام، وتسعى إلى نشره. كما تطلع حكامها إلى تقديم الخدمة لبلاد الحرمين الشريفين، تعبيراً عن صدق انتمائهم لهذا الدين، ورغبة في إرضاء أتباعهم من المسلمين، وسعياً لتغيير صورة المغول الوحشية التي ظهروا عليها خلال هجومهم على الدولة الإسلامية. وسوف تقتصر الدراسة على الدول المغولية التي كان لحكامها وأتباعهم مشاركات خيرية واضحة في بلاد الحرمين الشريفين، مثل الدولة الإيلخانية والدولة الجلائرية والدولة التيمورية. كما سيشمل البحث جهود الدولة المظفرية وأتباعها، نظراً لأن حكامها خضعوا فترة من الزمن للدولة المغولية الإيلخانية.

الجدير بالذكر أن هذه الأعمال الخيرية تمثلت في تقديم الهبات والهدايا لأشراف الحرمين وسكانهما والمجاورين فيهما، وإقامة عدد من المشاريع الخيرية والإصلاحية في مكة والمدينة والمشاعر المقدسة والطرق المؤدية إليهما.

مدخل

دخلت بلاد المشرق الإسلامي تحت السيطرة المغولية عقب حملة جنكيزخان التي شنها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، ثم أعقب ذلك دخول العراق تحت سيطرتهم بعد حملة هولاكو التي أرسلت من منغوليا، وأسفرت عن القضاء على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، وقد نتج عن ذلك قيام دولة المغول الإيلخانيين [١] التي استقلت ببلاد العراق والمشرق الإسلامي عن دولة المغول الكبرى في قراقورم.

ومنذ عهد الحاكم الإيلخاني أحمد تكودار (٦٨١ ـ ٦٨٣هـ/١٢٨٢ ـ ١٢٨٤م) دخلت دولة المغول الإيلخانيين مرحلة جديدة، بعد أن أعلن هذا الحاكم الدخول في الإسلام[٢]، ثم توطد ذلك بعد تولى غازان بن أرغون السلطة (٦٩٤ ـ ٧٠٣هـ/١٢٩٥ ـ ١٣٠٤م)، والذي حرص على جذب أكبر عدد ممكن من المغول للدين الإسلامي [٣]، وجعل الدين الإسلامي الدين الرسمي لدولته [٤]. وبذلك أصبحت الدولة المغولية الإيلخانية قوة تدافع عن الإسلام، وتسعى إلى نشره. كما تطلع حكامهما إلى تقديم الخدمة لبلاد

---

(١) الإيلخانية تطلق على هولاكو وأخلافه لأن لقب أيلخان أعطاه منكوقا آن لأخيه هولاكو حينما سيره لاكتساح إيران وما جاورها، ومن ثم سميت حكومته بالإيلخانية. (العزاوي، تاريخ المغول بين احتلالين، ج٢، ص٣٥).

(٢) محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص٢٣٢. عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٤٥٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٨، ص٢١٢ ؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص٢٦٥ . ٢٦٦.

(٤) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٤٥٩ ؛ برتولدشبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٢.

الحرمين الشريفين، تعبيراً عن صدق انتمائهم لهذا الدين، ورغبة في إرضاء أتباعهم من المسلمين، وسعياً لتغيير صورة المغول الوحشية التي ظهروا عليها خلال هجومهم على الدولة الإسلامية، ولذلك فقد حرص بعض حكامهم على إقامة علاقات متينة مع الدولة المملوكية في مصر، وتبودلت الرسائل بين الطرفين لهذا الغرض (٥).

وقد استمرت الدولة الإيلخانية دولة إسلامية، تحكم العراق وإيران حتى وفاة زعيمها السلطان أبي سعيد بهادر خان بن أولجايتو سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م (٦)، حيث تجزأت هذه الدولة بعد وفاته إلى عدة دول كانت من أبرزها الدولة الجلائرية (الإيلكانية) التى حكمت العراق وغرب إيران وأجزاء من أذربيجان ، وامتد حكمها من ٧٣٨ ـ ٨١٤هـ/١٣٣٧ ـ ١٤١١م (٧). فضلاً عن الدولة

(٥) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٥٧، ٧٥ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٢٤٢، ٥٤١ ـ ٥٤٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢١١ ؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ص٣٥٤.

(٦) لمزيد من المعلومات عن الدولة الإيلخانية، انظر: الغياثي، التاريخ الغياثي، ص٣٩ ـ ٧٧ ؛ عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢١٧ ـ ٢٦٦ ؛ تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٤٤٣ ـ ٥٠٦ ؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين.

(٧) لمزيد من المعلومات عن الدولة الجلائرية، انظر: الغياثي، التاريخ الغياثي، ص٧٩ ـ ١٤٤ ؛ نوري عبد الحميد العاني، العراق في العهد الجلائري ؛ شعبان طرطور، الدولة الجلائرية ؛ عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٤٤٤ ـ ٤٥٤.

المظفرية (٧١٣ ـ ٧٩٥هـ/١٣١٣م ـ ١٣٩٢م) التي كان حكامها في بداية أمرهم نواباً للمغول الإيلخانيين على أقاليم فارس وكرمان وكردستان (٨).

وقد استمر حكام الدولة الجلائرية في السير وفق سياسة الإيلخانيين الرامية إلى إقامة علاقات متينة مع جيرانهم من سلاطين الدولة المملوكية ، فتبودلت الرسل والهدايا بين الطرفين ، واهتم كل جانب بالحفاظ على استمرار هذه العلاقات وتنميتها بما يخدم مصالحه وسياسته (٩).

ويبدو أن من أهم أهداف الإيلخانيين والجلائريين في إقامة العلاقات مع المماليك الرغبة في مد نفوذهم إلى بلاد الحجاز بالطرق السلمية، ليُكْسِبوا حكمهم الشرعية في نظر رعاياهم ، بعد أن يدعى لهم على منابره، ويشاركوا بطريق أو بآخر في خدمة المقدسات الإسلامية فيه. وقد حققوا نجاحاً في هذا الجانب ، فتمت لهم الخطبة في مكة في بعض السنوات، بعد أن قاموا بإغراء أشراف مكة بالهدايا والأموال الطائلة ، وتقديم الكثير من الهدايا والهبات للكعبة المشرفة (١٠). كما شارك سلاطين هذه الدولة وعدد من أتباعهم في إقامة عدد من المشاريع الخيرية

(٨) ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ج٢، ص٥٣٩ ـ ٥٤٧ ؛ برتولدشبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٨ ـ ٨٣. لمزيد من المعلومات عن الدولة المظفرية، انظر: الغياثي، التاريخ الغياثي، ص١٤٥ ـ ١٦٥ ؛ عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٤٠٢ ـ ٤٣٢ .

(٩) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٤٨ ؛ إنباء الغمر، ج٢، ص٥٥، ١٢٤ ؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٦١، محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(١٠) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص١٢٥ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٧٢ ؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١، ص٣٠٣ ؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص١١١ ؛ الغياثي، التاريخ الغياثي، ص٨٨.

والإصلاحية في مكة والمدينة والمشاعر المقدسة والطرق المؤدية إليهما. فضلاً عن تقديم الكثير من الصدقات والهبات المعونات لأهل مكة والمدينة والمجاورين فيهما (١١).

وقد ساعدت هذه السياسة التي انتهجها حكام الدولة الجلائرية، والمتمثلة في إقامة علاقات ودية مع الدولة المملوكية، أو أشراف مكة، على تهيئة مزيد من الفرص للحجاج القادمين من العراق وبلدان المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحج في كثير من السنوات دون منغصات أو مضايقات (١٢). كما فتح هذا التقارب ـ أيضا ـ المجال لعدد من أشراف مكة للخروج إلى العراق وبلدان المشرق الإسلامي طلباً للرزق والهبات من حكومتها (١٣).

كما وجد المظفريون الفرصة سانحة لهم لتقديم خدمات خيرية في الحرمين الشريفين في ظل التسامح الذي أبداه بعض سلاطين المماليك مع الراغبين في المشاركة في دعم العمل الخيري في مكة والمدينة.

من جانب آخر فلم تقتصر المشاركات الخيرية على الدول والحكومات السابقة، وإنما شاركت في ذلك الدولة التيمورية المغولية

---

(١١) هذا ما سوف نراه في ثنايا البحث.

(١٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٧١ ـ ١٧٢ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، ص١٧١.

(١٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٢٥، ج٣، ص٤٠ ـ ٤١، ١١١، ج٧، ١١٨ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٢٢٣، ٦٤٢ ؛ الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١، ٤٤٣ ـ ٤٤٤، ج٢، ص١٠١٥، ١١٨٢، ١١٨٦.

(٧٧١ ـ ٩٠٧هـ/ ١٣٧٠ ـ ١٠٥١هـ) ـ التي حكمت أجزاء كبيرة من العراق ومشرق الدولة الإسلامية [١٤]ـ خاصة سلطانها شاه رخ بن تيمور لنك (٨٠٧ ـ ٨٥٠هـ/١٤٠٤ ـ ١٤٤٧م)، الذي كانت له بصمات خيرية في مكة.

ولاشك أن تجدد العلاقات بين بلاد الحرمين الشريفين والعراق خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين قد أعاد لنا ذكرى نفوذ الخلفاء العباسيين في الحجاز وارتباطهم بالحرمين الشريفين، وذلك بعد أن فُقد هذا الارتباط عقب سقوط الخلافة على يد المغول وقيام الدولة الإيلخانية على أنقاضها. ولهذا وذاك فقد رأيت أن أتناول موضوع أعمال المغول الخيرية في الحرمين الشريفين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وذلك نظراً لتزايد الأعمال الخيرية لحكام المغول وأتباعهم خلال هذه الفترة التاريخية، ولكي نتعرف على طبيعة هذه المشاركات الخيرية، ومدى تأثيرها على المجتمع في المدينتين المقدستين. سيما وأن دراسة هذا الموضوع سيغير تلك النظرة السائدة عند كثير من الباحثين والمهتمين ممن اعتقدوا الهيمنة التامة للمماليك على بلاد الحجاز آنذاك، واقتصار ارتباط أشرافها خلال هذه الحقبة التاريخية بالمماليك في مصر دون سواهم. إضافة إلى ذلك فإنني لم أجد من الباحثين من تناول

(١٤) لمعلومات عن الدولة التيمورية، انظر: ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور ؛ الغياثي، التاريخ الغياثي، ص١٦٧ ـ ٢٣٣ ؛ عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٥٨٩ ـ ٦٢٧ ؛ برتولدشبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص١٢١ ـ ١٢٨.

الموضوع بدراسة مستفيضة وفاحصة، تميط اللثام عن واقعه وحقيقته ، وتبين الدور الحضاري الذي شاركت به بلاد العراق ومشرق الدولة الإسلامية ـ حكومات وأتباعا ـ خلال السيطرة المملوكية على بلاد الحجاز.

وسوف أقصر الدراسة على الدول المغولية التي كان لحكامها وأتباعهم مشاركات خيرية واضحة في بلاد الحرمين الشريفين، مثل الدولة الإيلخانية والدولة الجلائرية والدولة التيمورية. كما سيشمل البحث جهود الدولة المظفرية وأتباعها، نظراً لأن حكامها خضعوا فترة من الزمن للدولة المغولية الإيلخانية.

أعمال حكام المغول الخيرية في الحرمين الشريفين

تزايدت خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين أعداد القاطنين في مكة والمدينة والقادمين إليهما من أصقاع مختلفة، فأضحت الحاجة ملحة لتقديم مزيد من الخدمات والأعمال الخيرية التي تقوم بحاجات السكان المستقرين أو الوافدين للحج أو العمرة والزيارة، وقد انبرى حكام الدول المغولية في العراق ومشرق الدولة الإسلامية، بعد اعتناقهم للإسلام، مع عدد ممن يخضع لحكمهم، خلال هذه الحقبة الزمنية ليقوموا بدور فاعل ومساند لما قام ويقوم به سلاطين المماليك وأتباعهم من جهود مشهودة في هذا الجانب. وقد تمثلت هذه الجهود الخيرية المغولية في إقامة المرافق الخدمية والعناية بها، ودعم الحركة العلمية وتشجيعها، وتقديم الهدايا

والصدقات المختلفة، وغير ذلك. وسوف نتحدث بالتفصيل في الصفحات القادمة عن كل جانب من هذه الجوانب.

أولاً: إقامة المرافق الخدمية والعناية بها

حرص عدد من حكام المغول وأتباعهم على إقامة بعض المرافق الجديدة في بلاد الحرمين الشريفين، كما عُنوا بالقائم منها بالصيانة والترميم، وكان من أبرز هذه المرافق، المساجد والأربطة والمنشآت المائية والبيمارستان والطرق. ففيما يخص المساجد قام بعض أتباع المغول بجهود في مجالي العمارة والصيانة، منها ما قام به الحسين بن أحمد بن محمد الكيلاني، المعروف بابن قادان (ت٨٨٩هـ/١٤٨٤م) ـ الذي قدم إلى الحجاز من كيلان [١٥]، ليجاور في مكة والمدينة ـ ببناء مسجد في المدينة سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م [١٦]. وكذلك ما عمل أحمد بن علي البصري الشهير بالكواز ـ وكان ممن سكن مكة واتجر بها ـ من أفعالاً كثيرة في وجوه الخير، منها تنظيف المسجد الحرام عندما دخله السيل جالباً معه الطين في سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، حيث أمر برفع جميع الطين الذي بلغ ارتفاعه في المسجد الحرام قدر نصف ذراع . كما قام

(١٥) وتسمى جِيلان، وهي إقليم يقع وراء بلاد طبرستان. قال ياقوت الحموي: وليس في جيلان مدينة كبيرة، إنما هي قرى في مروج بين جبال، ينسب إليها جيلاني وجيلي، والعجم يقولون: كيلان. (معجم البلدان، ج٢، ص٢٠١).

(١٦) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص٥٠٣.

البصري ـ أيضا ـ وعلى أثر الحادثة السابقة، بفرش جميع أرضية المسجد الحرام بالبطحاء من ماله [١٧].

أما الأربطة فقد أقيم في مكة والمدينة على يد المغول وأتباعهم مجموعة كبيرة، وكان لها أثر واضح في تقديم خدمات متعددة للمجتمع حينذاك، منها الرباط الذي أنشأه بمكة إبراهيم بن محمد الأصبهاني، الملقب بالعز (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، وهو أحد التجار المعروفين، وكان وقفه لهذا الرباط سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، أما موقعه فكان في زقاق الحجر في الجهة الشمالية من المسجد الحرام [١٨]. وقد بيّن الفاسي من خلال نقله للنص المكتوب على حجر التأسيس الموضوع فوق باب الرباط، شروط الواقف، ومهام الرباط، وبعض تنظيماته الإدارية والمالية، فقال [١٩]: ((وقفه على الفقراء والمساكين والمجاورين من أهل الخير والديانة من أي صنف كانوا من العرب والعجم، ويكون النظر إليه وإلى عقبه من بعده، فإذا انقرضوا يكون للحاكم بمكة المشرفة. والحجرتين المفترقتين في أعلى الرباط وأسفله وقفاً على هذا الرباط، يصرف كراؤهما على مصلحته وعمارته وسقايته وما يحتاج إليه، والنظر فيهما للمذكورين)).

(١٧) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٤٩٥.

(١٨) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٥٣٣ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٢٣٨.

(١٩) العقد الثمين، ج٣، ص٢٤٠.

وكان لهذا الرباط وقف أخر في مكة، ذكره الفاسي دون أن يحدد مكانه بدقة [٢٠].

ومنها الرباط الذي أسسه بمكة السلطان شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدي، سلطان بلاد فارس (٧٦٩ ـ ٧٨٧هـ/١٣٦٧ ـ ١٣٨٥م)، ويقع هذا الرباط قبالة باب الصفا، وكان تأسيسه ـ على الأرجح ـ سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م [٢١]. وقد تولى عمارة هذا الرباط، بتكليف من شاه شجاع، غياث الدين محمد بن إسحاق الأبرقوهي (ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، وكان من المقربين لهذا السلطان، والمكلف بالإشراف على أوقافه وصدقاته [٢٢]. وقد وقف شاه شجاع على هذا الرباط دوراً بمكة ومنى [٢٣]، وخصص هذا الرباط لعشرة من الفقراء الأعاجم دون الهنود، ومن لا سكن له بمكة إلا في الموسم، أو لا بيوت لهم [٢٤]. وبقي هذا الرباط يؤدي دوره في خدمة المجتمع في مكة أكثر من قرن من

(٢٠) العقد الثمين، ج٣، ص٢٤٠. ولمزيد من المعلومات عن هذا الرباط، انظر ؛ حسين عبد العزيز شافعي، الأربطة في مكة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي، ص١٢٨ ـ ١٣٠.

(٢١) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٥٣٢ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٣١١ ؛ محمد الصباغ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، ج٢، ص٦٢٧.

(٢٢) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٤١٠ ؛ حسين شافعي، الأربطة في مكة، ص١٣١.

(٢٣) نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٣١٢.

(٢٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٥٣٢، العقد الثمين، ج١، ص٤٠٩ ـ ٤١٠، ج٥، ص٤ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٣١١ ـ ٣١٢ ؛ محمد الصباغ، تحصيل المرام، ج٢، ص٦٢٧.

الـزمن، حتـى تعـرض لعمليـة اسـتيلاء عليـه مـن قبـل بعـض الأشخاص [٢٥].

ومـن الأربطـة بالمدينـة ربـاط أنشـأه الأميـر جوبـان بـن تـدوان فـي غربـي المدرسة التي أسسها في المدينة [٢٦]. ورباطان أوقفهما أبو بكر بن أحمد بن محمد السلامي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، أحدهما للرجال، والآخر للنساء، وأوقف عليها أموالاً ودوراً[٢٧]. وكان ممن عانى التجارة، وجاور في المدينة منذ سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وفيها بقي حتى وفاته [٢٨].

وقـد عُـرف عـن يوسـف بـن علـي الزرنـدي، نزيـل المدينـة (ت٧١٢هـ/١٣١٢م) عنايته بالأربطة وتفقدها وتعميرها، يقول عنه ابن فرحون [٢٩]: ((سكن رباط الأصفهاني فعمره وردّه إلى أهله على شرط واقفه، بعد أن كان منزلاً للنساء والفتيان، وكان شيخ الربط كلها، يتفقدها ويعمرها)).

أما المنشآت والخدمات المائية التي قدمها المغول وأتباعهم فيأتي عمل جوبان بن تدوان (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) في إجراء الماء من عين عرفات إلى مكة من أبرز وأهم الخدمات التي قدمها هؤلاء لتوفير المياه

---

(٢٥) حسين شافعي، الأربطة في مكة، ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢٦) السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص٧٢٥.

(٢٧) ابن فرحون، نصيحة المشاور وتعزية المجاور، ص١٠٢ ؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، ج٣، ص١١٧١.

(٢٨) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٣٩.

(٢٩) نصيحة المشاور، ص٩٥.

في بلاد الحجاز، ففي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م يبست آبار مكة، وقل ماؤها، كما قل ماء بئر زمزم، وعانى أهل مكة والقادمون إليها الكثير من المشاكل بسبب قلة المياه (٣٠)، فلما علم جوبان بما يلاقيه الناس في مكة من شدائد، أرسل الأموال الطائلة لتنفق في إجراء عين عرفات، وكانت قد تعطلت. فشُرع في عمارتها من بداية السنة المذكورة، واستمر العمل في ذلك أكثر من أربعة أشهر (٣١)، حتى تم إيصال الماء من منبع هذه العين إلى مكة عبر قنوات محكمة، لتصب عند الصفا وباب إبراهيم، وقد صور ابن كثير هذا العمل الذي قام به جوبان وبيّن أثره، فقال (٣٢): ((وفي أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أجريت عين ماء إلى مكة شرفها الله، وانتفع الناس بها انتفاعاً عظيماً، وهذه العين تعرف قديماً بعين باذان، أجرها جوبان من بلاد بعيدة، حتى دخلت إلى نفس مكة، ووصلت إلى عند الصفا وباب إبراهيم، واستقى الناس منها فقيرهم وغنيهم وضعيفهم وشريفهم، كلهم فيها سواء، وارتفق أهل مكة بذلك رفقا كثيراً ولله الحمد والمنة، وكانوا قد شرعوا في حفرها وتجديدها في أوائل هذه السنة إلى العشر الآخر من جمادي الأولى)). ويبين ابن كثير أثر هذا

(٣٠) الذهبي، العبر، ج٤، ص٧٥ ؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج٢، ص٢٠٨ ؛ العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، ص٩٧.

(٣١) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ٢٧٥ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٨٢.

(٣٢) البداية والنهاية، ج١٤، ص١٢٣.

العمل الذي قام به جوبان، فيقول أيضاً [٣٣]: ((واتفق أن في هذه السنة كانت الآبار التي بمكة قد يبست وقل ماؤها، وقل ماء زمزم أيضا، فلولا أن الله تعالى لطف بالناس بإجراء هذه القناة لنزح عن مكة أهلها، أو هلك كثير ممن يقيم بها. وأما الحجيج في أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف، كما شاهدنا ذلك في سنة إحدى وثلاثين عام حججنا)). كما أشار إلى أثرها ابن الضياء،فقال [٣٤]: ((وعمّ نفعها وعظم، وكان جريانها هذا رحمة من الله تعالى لأمة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا في جهد عظيم بسبب قلة الماء بمكة)).

وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى أن وفرة المياه في مكة على أثر هذا العمل الجبار الذي قام به جوبان قد أدت إلى توقف بيع الماء فيها كما هو معتاد قبل ذلك [٣٥]. وكانت الراوية تباع في مكة قبيل ذلك بعشرة دراهم مسعودية[٣٦]في الموسم، وفي غيره تباع بستة دراهم [٣٧].

---

(٣٣) البداية والنهاية، ج١٤، ص١٢٣.

(٣٤) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق، ج٥، ص٢٦٧٨.

(٣٥) الدرر الكامنة، ج١، ص٥٤١.

(٣٦) عملة تنسب للملك المسعود بن الكامل الأيوبي الذي حكم اليمن خلال الفترة (٦١١ - ٦٢٦هـ/١٢١٤ - ١٢٢٨م)، قال القلقشندي عن الدرهم المسعودي: ((من فضة خالصة، مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو السدس، يعبرون عنه بالمسعودي نسبة إلى الملك المسعود صاحب اليمن، وهو في المعاملة بثلثي درهم كاملي)). (صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص٢٨٠). وقد استمر التعامل بهذه العملة حتى نهاية العصر المملوكي. (ضيف الله الزهراني، أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/١٢٥٠ - ١٥١٧م)، ص١٠٦)..

(٣٧) نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٨١.

الجدير بالذكر أن فائدة عمل جوبان المتمثل في إجراء الماء إلى مكة بوفرة لم تقتصر على الناس والدواب فقط، وإنما تعدت ذلك فاستفاد المكيون منها في سقيا مزارعهم [٣٨].

أما المبالغ المالية التي صرفت في سبيل إجراء هذه العين فكانت عالية، يقول ابن فهد موضحاً ذلك [٣٩]: ((وجملة ما صُرف على هذه العين في هذه العمارة مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم على ما قيل، وكانت تتحمل من المصروف زيادة على هذا القدر، ومثله وأكثر، والسبب في الاقتصار على القدر المعين الاستغناء به عن غيره بسبب ما وجد فيها حين عمارتها من القُنيّ المعمولة المهيأة من قديم الزمان، وهي أكثر من الثلث وأقل من النصف)). أما السخاوي فقد أشار إلى المبالغ المصروفة في عمارة هذه العين، فقال عن جوبان [٤٠]: ((بذل ذهباً كثيراً حتى أوصل الماء إلى بطن مكة، وقيل أنه أخذ من ملكه ألف ألف دينار)). وقد ذكر الفيروزآبادي أن جوبان قد فتح خزائنه لهذا المشروع مهما كلف من مبلغ، فقال [٤١]: ((أنه لما فوض في أمر عين مكة وبأنه يُمكن إجراؤها من مسيرة يومين، بادر في الحال إلى تجهيز المال، ولم يصدر منه عن كمية ما يحتاج إليه سؤال، وإنما أمرهم بالشروع، ووعدهم بمواصلة الأموال، إلى انتهاء الأعمال. وأخبرني الثقة أنه أقبل

(٣٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٧٥ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٨١.

(٣٩) شفاء الغرام، ج١، ص٥٥٤ ـ ٥٥٥.

(٤٠) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٢٤٩.

(٤١) المغانم المطابة، ج٣، ص١١٩١.

من فاوض في ذلك وقال: ادخل الخزانة وخذ منها ما يكفي إجراء الماء من أجزاء المال)).

من جانب آخر فقد وجد أهل مكة الباحثون عن العمل فرصة كبيرة للحصول على دخل مناسب لهم، حيث رغّب المكلف بعمارتها العمال في الالتحاق بالعمل في هذا المشروع بعد أن عرض عليهم أجراً يومياً يبلغ ثلاثة دراهم، وكانت النتيجة أن هبّ لذلك القادرون من أهل مكة، وكذلك جمع كبير من العرب المحيطين بها، فضلاً عن عدد من النساء اللاتي رغبن في ذلك (٤٢).

وهكذا يتضح لنا مدى تأثير هذا العمل الذي قام به جوبان بن تدوان على جوانب عديدة من حياة المجتمع في مكة، فكان إجراء هذه العين منقذاً لأهلها من أزمة كادت أن تحل بهم، فتجليهم عن بلادهم، إن لم يصل الأمر إلى هلاكهم. كما أسهمت في تخفيف الأعباء الاقتصادية عن كاهل السكان بعد أن وصل غلاء الماء إلى حد يصعب على كثير منهم تحمله. إضافة إلى ذلك فقد كانت ـ كما رأينا ـ فرصة سنحت للباحثين عن العمل، فساعد ذلك على الحد من البطالة في فترة من الزمن، وهيأ لهم في الوقت نفسه الحصول على عيشة الكفاف، والاستغناء عن السؤال، في ظل قفر بلادهم وفقرها. فضلاً عن ذلك فقد كان استغلال مياه هذه العين في ري المزروعات خير مساعد على زيادة الإنتاج الغذائي، وتوفر الكثير من السلع في الأسواق المحلية، وذلك بأسعار منافسة، وهذا ما

(٤٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٢٧٥ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٨١.

يؤكده المقريزي حيث يقول عن مكة بعد أن ذكر جريان هذه العين [٤٣]: ((وانحلت الأسعار بها حتى نزل القمح من ستين درهماً، الغرارة إلى أربعين، وزرع بها البطيخ والذرة والخضروات وغيرها)).

الجدير بالذكر أن أبناء جوبان قد حرصوا على استمرار جريان هذه العين لتبقى أثراً باقياً لوالدهم، حيث أرسلوا في سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م أموالاً لعمارة العين، وإجراء الماء إلى مكة، بعد أن انقطع عنها، ولكن السلطة المملوكية لم توافق على ذلك، حيث خصصوا من أموال الحرمين في مصر ما يكفي لذلك العمل [٤٤].

وقد شارك عدد من أبناء المناطق الخاضعة للحكم المغولي في إقامة عدد من المنشآت المائية في مكة والمدينة، سواء كان ذلك بتسبيل المياه، أو صيانة وعمارة العيون والمآضي، أو غير ذلك، وكان لهذه الأعمال أثرها في خدمة القاطنين في بلاد الحرمين، فضلاً عن الوافدين إليها من حجاج وزوار وتجار وغيرهم.

وممن تزودنا المصادر عنه بمعلومات تفيد مشاركته في توفير المياه في الحرمين الشريفين، دانيال بن علي بن سليمان اللرستاني الكردي (ت بعد ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وكان من كبار مشيخة المجاورين بمكة، وقد بذل هذا الرجل جهداً في سبيل حث جوبان على إجراء عين عرفات، كما استمر حرصه على بقاء هذه العين، وكان يستدين الأموال

(٤٣) السلوك، ج٢، ق١، ص٣٠٣.

(٤٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٦٦.

لأجل استمرار جريانها، كما تردد للمشرق أكثر من مرة باحثاً عن أناس يشاركون في بقاء هذه العين تؤدي الهدف المنشود منها [٤٥].

وكذلك الخواجا شهاب الدين أحمد البصري الكواز الذي أقام سبيلاً في بستان اشتراه بالأبطح، كما عمّر البصري سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م أماكن كثيرة من عين حنين [٤٦]. وكان من المشاركين له من أهل العراق في هذا العمل الخيري عبد الكريم بن محمد الزبيري البصري ، الذي قام أيضاً ـ وفي السنة ذاتها ـ ببعض الأعمال العمرانية في العين نفسها [٤٧].

وممن شارك بعمل خيري متمثل في توفير المياه مقبل السلطاني بن عبد الله بن عبد الرحمن البغدادي (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)، وكان من التجار الأثرياء الذين تملكوا بمكة ومنى عقارا، ووقف سبيلاً بمنى في سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م، وعلى هذا السبيل وقف داراً علوه، وأخرى إلى جانبه [٤٨].

أما حسين بن أحمد السراوي العجمي (ت٨١١هـ/١٤٠٨م) فقد أسهم في سنة ٨١١هـ ببعض الأعمال في هذا الجانب، يقول عن الفاسي [٤٩]: ((من تجار العجم. جاور بمكة مدة. وأوصى لعمارة عين مكة

(٤٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص٣٤٣.

(٤٦) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٤٩٥.

(٤٧) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص٣١٩.

(٤٨) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج٢، ص١٢٠٨.

(٤٩) العقد الثمين، ج٤، ص١٨٨-١٨٩.

[٥٠]بعشرة آلاف درهم، ولعمارة الميضأة الصرغطمشية[٥١]التي ببابها في المسجد الحرام بخمسة آلاف درهم، ونفذت وصيته بذلك، وببعض قربات غير ذلك أوصى بها)).

ومثله موسى بن عبد السلام بن موسى الشيرازي (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م)، حيث أوضح نجم الدين بن فهد جهوده قائلاً [٥٢]: ((وتكلم على سبيل الوتش بطريق منى بالقرب من سبيل الست المعروف بابن مزنة، والوقف عليه بنخلة، وجدد السبيل في سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وسبل فيه في أيام التشريق)).

وقد وقف عبد العزيز بن علي بن عثمان الأصفهاني الأصل المعروف بالعجمي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) مكاناً يقال له المفقر، بوسط الهدة على الزوار في طريق الماشي، وكان قد اشتراه بمبلغ كبير وصل إلى سبعة وثلاثين وخمسمائة درهم [٥٣]، ورغم أن المصدر الذي أشار إلى أعماله لم يحدد طبيعتها، إلا أن المنشآت المائية من أسبلة ومآضي وبرك وغيرها لتُعد من الأشياء الضرورية التي يحتاج إليها سالكو هذا الطريق.

---

(٥٠) وهي المعروفة بعين عرفات، أو عين بازان.

(٥١) ميضأة عملها الأمير صرغتمش الناصري أحد كبار الأمراء في دولة الناصر حسن، وتقع ما بين البيمارستان المستنصري ورباط أم الخليفة، وتاريخ عمارتها سنة ٧٥٩هـ. (ابن الضياء، البحر العميق، ج٥، ص٢٦٧٩).

(٥٢) الدر الكمين، ج٢، ص١٢١٨.

(٥٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤٥٤.

وفي المدينة أمر أبو بكر بن أحمد بن محمد السلامي (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) بعمارة بئر أريس [٥٤]، الواقعة مقابل مسجد قبا، وكانت من آبار المدينة القديمة [٥٥]، وكان تجديده لها سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م، وقد عمل لها درجاً ينزل إليها منه من يريد الشرب والوضوء، ووضع على هذا الدرج قبواً [٥٦]. كما قام الحسين بن أحمد بن محمد الكيلاني المعروف بابن قادان(ت٨٨٩هـ/١٤٨٤م) بتعمير بئر غرس، وحوّط عليها بحديقة [٥٧]. وكانت من الآبار التاريخية المعروفة في المدينة زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد تعرضت للخراب [٥٨]، فجُددت لتعود الاستفادة منها.

ومن المرافق التي حظيت باهتمام بعض أتباع المغول في مكة البيمارستان المستنصري[٥٩]، فقام أحمد بن جمعة الواسطي (ت٨٥٧هـ) بتعمير جانب منه، بعد أن وسعه من هذه الناحية، وفتح له باباً إلى زقاق العز، وذلك سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م [٦٠]. كما تولى إبراهيم بن محمد

---

(٥٤) الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ج٣، ص١١٧١.

(٥٥) ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص٤٣.

(٥٦) المطري، التعريف بما أنست به دار الهجرة، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٥٧) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٥٠٣.

(٥٨) ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص٤٥ ـ ٤٦ ؛ المطري، التعريف بما أنست به دار الهجرة، ص١٥٣.

(٥٩) كان أول بيمارستان أنشئ في مكة على يد الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٤-٦٤٠هـ) وقد أقامه سنة ٦٢٨هـ. انظر ؛ (الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص١٢٣ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٠١).

(٦٠) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٤٤٢.

العقـري الكـردي نزيـل الحـرمين (ت٨٥٣هـ/١٤٤٩م) مشـيخة هـذا البيمارستان، وجدد أوقافه [٦١].

كمـا قـام جوبـان بـن تـدوان سـنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ببنـاء حمـام فـي المدينة، وصفه ابن الوردي بأنه حمام حسن [٦٢].

بيد أن هناك بعض الأعمال الأخرى التي أسهم بها في مكة عدد من أتباع المغول، ومن ذلك تسهيل الطرق، حيث قام محمد بن محمد بن مسعود النيسابوري الكازروني (ت٨٠١هـ/١٣٩٨م)، الذي جاور بمكة أكثر من عشر سنوات، بأعمال خيرية، يقول الفاسي [٦٣]: (وكان زار المدينة النبوية في طريق الماشي، وسهل في طريقها أماكن مستصعبة، وفعل مثل ذلك في جبل حراء وجبل ثور).

أما أحمد بن علي البصري الشهير بالكواز، نزيل مكة، وأحد التجار فيها، فقد جدد مولد النبي صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم، كما قام بدهن سقفه [٦٤].

ثانياً: دعم الحركة العلمية

تعددت أعمال حكام المغول وأتباعهم وتنوعت جهودهم في دعم الحياة العلمية في الحرمين الشريفين، فقاموا بإنشاء المدارس، وكذلك

(٦١) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٦٢٢.

(٦٢) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤٠٥.

(٦٣) العقد الثمين، ج٢، ص٣٢٣.

(٦٤) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٤٩٥.

تخصيص بعض الدروس العلمية، فضلاً عن إقامة المكتبات ووقف الكتب على طلبة العلم في المساجد والأربطة وغيرها.

وكان من أبرز الأعمال التي قدمها المغول المدرسة الجوبانية التي أسسها جوبان بن تدوان في المدينة سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، وذلك في الناحية القبلية من الحصن العتيق عند باب الرحمة، وجعل فيها له تربة ليدفن فيها [٦٥]. ورغم قلة المعلومات الواردة عن هذه المدرسة في المصادر، سواء من حيث طريقة إنشائها، أو مواردها ومصروفاتها، أو تنظيمها، أو وظائفها، إلا أن الفيروزبآدي قد أورد لنا معلومات تؤكد لنا ضخامة هذه المدرسة من حيث العمران، وما خصص لها من الأوقاف والوظائف، وذلك مقارنة بالمدارس المعاصرة لها، فقال ـ وهو يتحدث عن جوبان [٦٦]: ((منشىء المدرسة الجوبانية بالمدينة الشريفة، وليس بها مدرسة، ولا رباط، ولا دار أحسن بناء وأتقن وأمكن وآنس وأحصن منها، مع شرف الجوار، وقرب الديار، وقرب الجدار بالجدار، ولو صرف من أوقافها المعشار لما وجدت أعمر منها ولا أفخر ولا أشهر في جميع مدارس الأقطار)). ووصفها الذهبي، فقال [٦٧]: ((وهي مدرسة كبيرة مليحة مزخرفة قريبة من الحجرة النبوية)). وقد ذكر الفاسي أن جوبان قد أنفق على هذه المدرسة أموالاً كثيرة فجاءت في غاية الحسن

(٦٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٤٤٧ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٢٤٩ ؛ خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، ص٤٠٧.

(٦٦) المغانم المطابة، ج٣، ص١١٩٠.

(٦٧) ذيل تاريخ الإسلام، ص٣٣٩.

[٦٨]. كما أكد ابن الوردي أنها مدرسة في غاية الحسن [٦٩]. ولا غرو في ذلك إذا علمنا أن جوبان قد بلغ من اهتمامه بهذه المدرسة أن جلب من بغداد الطين ليعمل لها الآجر منه [٧٠].

وقد استمرت المدرسة الجوبانية تؤدي دورها العلمي في المدينة حتى أواخر القرن التاسع تقريباً [٧١]، حيث هدمت في سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، ووضع مكانها مدرسة للسلطان المملوكي قايتباي [٧٢].

ومن المدارس التي أنشأها أتباع المغول مدرستان أوقفهما محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي الشيرازي (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، أحدهما في مكة، والأخرى في المدينة، يقول السخاوي ـ بعد أن ذكر مجاورته في مكة [٧٣]: ((أنشأ بمكة داراً على الصفا، عملها مدرسة للأشرف صاحب اليمن (٧٧٨ ـ ٨٠٣هـ/١٣٧٧ ـ ١٤٠١م)، وقرر بها مدرسين وطلبة، وفعل بالمدينة كذلك)).

وقد برزت في مكة والمدينة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ظاهرة إقامة الدروس الخاصة، وهي عبارة عن دروس علمية منتظمة يقيمها أحد المحسنين بعد أن يخصص للمرتبين فيها من المدرسين

---

(٦٨) العقد الثمين، ج٣، ص٤٤٧.

(٦٩) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤١٤.

(٧٠) المغانم المطابة، ج٣، ص١١٩١.

(٧١) خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، ص٤٠٨.

(٧٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٦٤٢ ـ ٦٤٣.

(٧٣) الضوء اللامع، ج١٠، ص٨٥.

والطلاب مبالغ معينة وثابتة تصرف عليهم. وكان للمغول مشاركة في إقامة عدد من هذه الدروس في بلاد الحرمين حينذاك، فكان ممن شارك في دعم الحركة العلمية في بلاد الحرمين السلطان شاه شجاع، وقد خصص درسه في مكة لتدريس الحديث النبوي، وجعل مكانه خلف مقام الحنفية، عند أول الرواق (٧٤). وذكر الفاسي أن ما يصرف على هذا الدرس سنوياً يبلغ مائتي مثقال سنوياً (٧٥). وبقي هذا الدرس ـ فيما يبدو ـ أكثر من قرن من الزمن يؤدي دوره العلمي في مكة، حيث تعرض بعد ذلك للضياع بضياع مخصصاته من الأوقاف، حيث ذكر ابن فهد أن أبا بكر بن أحمد بن إبراهيم المرشدي الشافعي (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م) قد ولي نظر أوقاف شاه شجاع بمكة، فضيعها، وخربت ودثرت (٧٦)، ولا شك أن مخصصات هذا الدرس ضمن ما خرب ودثر من أوقاف شاه شجاع.

ومن الدروس العلمية للمغول وأتباعهم درسان للحديث النبوي أحدهما في المسجد الحرام والآخر في المسجد النبوي، قررهما إسماعيل بن زكريا (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م)، وهو أحد الأمراء في مدينة بغداد (٧٧). وقد أكد كل من الفاسي وابن فهد أن تقرير درس الحديث في مكة كان قبل نهاية النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وذلك عندما ذكرا أن عثمان بن يوسف بن أبي بكر بن محمد الأنصاري النويري

(٧٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص١٣٠.

(٧٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص١٣٠.

(٧٦) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج٢، ص١٢٦٧.

(٧٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٥٦، ١٣٠.

(ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م) ولي التدريس فيه سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م [٧٨].أما درس المدينة فقد ذكر الفاسي أن إسماعيل بن زكريا قد قرر هذا الدرس قبيل وفاته بقليل[٧٩]. وكان الأمير إسماعيل بن زكريا قد خصص مبلغاً كبيراً لإقامة هذا الدرس، وصل إلى ألف مثقال ذهباً [٨٠]. ومن الوظائف الموجودة بهذه الدروس ـ بالإضافة للمدرس ـ وظيفة قارئ للحديث [٨١].

ولإسماعيل بن زكريا ـ أيضاً ـ درس في مكة اختص بتدريس القرآن الكريم، كان قائماً فيها يؤدي دوره قبل سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م [٨٢].

ومن الدروس العلمية التي تكفل بها أحد أتباع المغول الدرس الذي أقامه بمكة نزيلها الخواجا شمس الدين محمد بن جمعة الهمذاني (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، لتدريس الفقه الحنفي، وخصه بأوقاف وافرة، يقول عنه ابن فهد [٨٣]: ((نزيل مكة الخواجا شمس الدين، صاحب الأوقاف بمكة. سكن مكة واشترى بها دوراً، وأوقفها على مدرس... وطلبة حنفية بالمسجد الحرام فدرّس بالمقام في حياته)).

ولم تقتصر أعمال المغول وأتباعهم في دعم الحركة العلمية في الحرمين الشريفين على إنشاء المدارس وإقامة الدروس العلمية، وإنما

(٧٨) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٥٦ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٢٣٤.
(٧٩) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص١٣٠.
(٨٠) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص١٣٠.
(٨١) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٤٨٨.
(٨٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص٨٨.
(٨٣) الدر الكمين، ج١، ص١٢٣.

امتد ذلك ليشمل تأسيس مكتبات ووقف كتب على طلبة العلم في مكة والمدينة، ومن أبرز من قام بذلك شاه شجاع محمد بن المظفر اليزدي الذي أوقف في المسجد النبوي خزانة كتب (٨٤)، وصفها الفيروزآبادي فقال - وهو يتحدث عن آثاره في المدينة (٨٥): ((وآثار منها الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها، فما من طالب مقتبس ألا وهو مستمد من جواهر زواخرها)). كما وقف شاه شجاع كتباً في مكة، وجعلها في الرباط الذي أنشاه فيها (٨٦).

وممن وقف كتبه بمكة من أتباع المغول محمد بن محمد بن عمر الكابلي الحنفي (ت٧٥٣هـ) حيث وقف جملة كثيرة من الكتب المتنوعة في رباط السدرة بمكة، وكان قد كتبها بخطه (٨٧). وعبد الله بن إبراهيم الكردي نزيل مكة (ت٧٨٥هـ/١٣٨٣م) الذي يقول عنه الفاسي: ((ووقف كتباً كثيرة، وجعل مقرها رباط ربيع)) (٨٨). ومحمود بن جمال الدين أبي طاهر الهروي (ت٧٩٦هـ/١٣٩٣م) الذي جاور بمكة مدة، وكتب بخطه الكثير من الكتب، خاصة في علمي الحديث والفقه، ثم وقفها في رباط الخوزي بمكة (٨٩). وعبد الملك بن سعيد الكردي نزيل رباط السدرة

---

(٨٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤.

(٨٥) المغانم المطابة، ج٣، ص١٢١٥ - ١٢١٦.

(٨٦) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤.

(٨٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٣١٩ ؛ المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٣، ص٢٦٣.

(٨٨) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص١١٦.

(٨٩) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص١٣٧.

(ت٨٢٤هـ/١٤٢١م) الذي وقف بعض كتبه بمكة أيضاً [٩٠]. ومنهم إبراهيم بن خليل بن محمد الكردي نزيل مكة (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م) الذي قال عنه ابن فهد [٩١]: ((قدم مكة بعد الثلاثين وثمانمائة ودرّس بها وأفتى، وانتفع به الطلبة، وأوقف كتبه على طلبة العلم بمكة المشرفة)).

ثالثاً: تقديم الهدايا والصدقات

ومن الأعمال الخيرية التي شارك فيها المغول وأتباعهم لخدمة الحرمين الشريفين والقاطنين فيها والقادمين إليها تقديم الهدايا والصدقات التي كان لها تأثيرها في دعم فئات المجتمع خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وقد تمثلت الهدايا في قيام بعض حكام المغول بكسوة الكعبة المشرفة وتقديم الهدايا الثمينة لها، ومن ذلك ما قدمه حاكم المغول الإيلخانيين سعيد بن خرابندا (٧١٦ -٧٣٦هـ/١٣١٦ - ١٣٣٥م)، حيث ذكر ابن فهد في أحداث سنة ٧١٨هـ/١٣١٨ أن أبا سعيد بن خرابندا ملك التتار قد بعث مع محمل الحج العراقي حلقتين من ذهب مرصعتين باللؤلؤ والبلخش، كل حلقة وزنها ألف مثقال، وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات، وبها ست قطع بلخش ليعلقا في الكعبة [٩٢]. كما ذكر المقريزي أن أبا سعيد قد أرسل مع هذا الوفد

(٩٠) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٥٠١.

(٩١) الدر الكمين، ج١، ص٥٩٦.

(٩٢) الدر الكمين، ج٣، ص١٦٠ - ١٦١.

كسوة للكعبة، ولكن لم يسمح له حكام المماليك بتعليقها على الكعبة [٩٣].

كما بعث الحاكم الجلائري أويس بن حسن الصغير (٧٥٧ ـ٧٧٦هـ/١٣٥٦ ـ ١٣٧٤م) قناديل من الذهب والفضة للكعبة [٩٤]، وبصحبتها مال جليل أرسله إلى مكة، وفرق على أهلها [٩٥].

وفي سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م قام السلطان التيموري شاه رخ بن تيمور لنك (٨٠٧ ـ ٨٥٠هـ/١٤٠٤ ـ ١٤٤٧م) بكسوة الكعبة، بعد أن حصل على موافقة المماليك بذلك[٩٦]. وقد استمرت هذه الكسوة على الكعبة حتى نزعت عنها سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م [٩٧].

وكان لشاه رخ جهود تصب في مصلحة بلاد الحرمين، وتخفف الأعباء المعيشية على سكانهما، ومن ذلك إرسال الصدقات لأهل مكة، مثلما حدث سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٥م عندما أرسل صدقة مع كسوة الكعبة، فرقت على أهل مكة [٩٨]. ومنها إنكاره على الأشرف برسباي أخذ

---

(٩٣) السلوك، ج٢، ق١، ص١٩٠.

(٩٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٩٩ ؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج١، ص١١١ ؛ الغياثي، التاريخ الغياثي، ص٨٨.

(٩٥) الغياثي، التاريخ الغياثي، ص٨٨ ؛ الطبري، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، ج١، ص٢٣٧.

(٩٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٦٤ ـ ٣٦٥ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص٢٣٨ ؛ الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٣٧.

(٩٧) نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص٣١٧ ؛ النهرواني، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص٢٣٨.

(٩٨) نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ ؛ النهرواني، الإعلام، ٢٣٦ ؛ محمد الصباغ، تحصيل المرام، ج٢، ص٨٤١.

العشور على التجار بساحل جدة [٩٩]، خاصة وأن أخذ هذه العشور سوف يؤثر على الوضع الاقتصادي في مكة، فترفع أسعار السلع الاستهلاكية الضرورية، كما تحد من وصول بعض المواد إلى الأسواق فيها.

ومن الأعمال الخيرية للمغول في بلاد الحرمين ما كان لشاه شجاع محمد بن المظفر اليزدي من جهود مشهورة بالمدينة، يقول عنه الفيروزآبادي[١٠٠]: ((للمنقطعين بالمدينة من عوارفه رزق دار، وعيش تار [١٠١]، وقلب سار، وأملهم في مضاعفته بجميل عاطفته حقيق سديد، وحبل رجائهم في مرادفته ومكاتفته وثيق شديد)).

وغالباً ما يأتي محمل الحج القادم من البلاد الخاضعة للحكم المغولي محملاً بالكثير من الأموال والصدقات التي توزع في الحرمين الشريفين، ومن ذلك على سبيل المثال محمل الحج العراقي الذي قدم مكة سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، وكان مع هذا الركب ذهب كثير، فيه من الذهب واللؤلؤ والجواهر الثمينة ما قدرت قيمته بمائتين وخمسين ألف دينار من الذهب [١٠٢].

---

(٩٩) نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٤، ص١٤٧ - ١٤٨.

(١٠٠) المغانم المطابة، ج٣، ص١٢١٦.

(١٠١) تار، أي ممتلئ. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٤٥٤ (مادة تر).

(١٠٢) الذهبي، العبر، ج٤، ص٥٧ ؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٨٩ - ٣٩٠.

ومن ذلك أيضاً ما حصل سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م، يقول ابن فهد في أحداث هذه السنة [١٠٣]: ((وفيها حج العراقيون في غاية الكثرة، وحج بعض العجم، وتصدق بذهب كثير في الحرمين على أهلها)).

ويوضح ابن بطوطة كثرة صدقات أهل العراق وخراسان وغيرهم من حجاج المشرق الإسلامي، وتنوع هذه الصدقات، فيقول عن ركب حجهم [١٠٤]: ((وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري أربعة أيام، فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم، ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلاً، فمن لقوه في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والثياب، وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة، وربما وجدوا إنساناً نائماً فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق)). كما يبين ابن بطوطة ما يحمله ركب الحج العراقي إلى مكة من خيرات، وأثر ذلك فيها فيقول مؤكداً قوله السابق [١٠٥]: ((ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلوا من ذلك كثيراً، وأكثروا الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة، وانتهى صرف المثقال إلى ثمانية عشر درهماً نقرة، لكثرة ما تصدقوا به من الذهب)).

---

(١٠٣) إتحاف الورى، ج٣، ص٢٧٠.

(١٠٤) رحلة ابن بطوطة، ص١٧١ - ١٧٢.

(١٠٥) رحلة ابن بطوطة، ص١٧٢.

وقد أكد ذلك السخاوي، فقال ـ وهو يذكر من يحصل بهم الرفق لأهل الحرمين[١٠٦]: ((ولم يزل الركب العراقي وغيره ـ من العجم والهنود ـ يبذلون الذهب الكثير في الحرمين)).

كما ذكر ابن بطوطة أيضاً أن ملك العراق السلطان أبا سعيد الإيلخاني قد بعث في سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م صدقات عظيمة خصصها للمجاورين وأهل مكة [١٠٧].

ويبدو أن هذه الصدقات التي ترسل من العراق كانت ثابتة، تبعث كل سنة، لتفرق في الحرمين الشريفين، وموردها عبارة عن أوقاف مخصصة لهذا الغرض، فكان هناك رجال يبعثون لجمع هذه الصدقات [١٠٨]، كما عُرف رجال يوكل إليهم توزيعها على المحتاجين في الحرمين الشريفين [١٠٩].

بيّد أن هناك من أتباع المغول من تعاهد خدمة الفقراء وتقديم المعونات لهم في مكة، ومن ذلك ما كان يقوم به مهنا بن أبي بكر بن إبراهيم البغدادي نزيل وشيخ رباط الخوزي بمكة (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م) من خدمة الفقراء في هذا الرباط. يقول عنه الفاسي [١١٠]: ((جاور بمكة نحو أربعين سنة أو أزيد، وكان فيه خير وإحسان لجماعة من الفقراء،

---

(١٠٦) التحفة اللطيفة، ج١، ص٤٧.

(١٠٧) رحلة ابن بطوطة، ص٢٤١.

(١٠٨) نجم الدين بن فهد، الدر الكمين، ج٢، ص٩٢٨.

(١٠٩) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٤٠.

(١١٠) العقد الثمين، ج٧، ص٢٩٦.

وخدم الفقراء برباط الخوزي مدة سنين، ثم ولي مشيخته نحو ثلاثين سنة، واشتهر بذلك عند الناس)). وكذلك ما يعمله أبو بكر بن أحمد بن محمد السلامي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) نزيل المدينة، بحيث كانت قرابته يبعثون إليه الأموال الكثيرة، فيقوم بتفريقها على المحتاجين في المدينة، بعد أن يضيف إليها من ماله الخاص(١١١).

الخاتمة

إن هذه الدراسة التي حاولت أن تتبع أعمال المغول وأتباعهم الخيرية في بلاد الحرمين الشريفين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين قد كشفت لنا ـ بحمد الله ـ عن كثير من النتائج التي سوف نوجزها في السطور التالية.

ـ أن العلاقات بين بلاد الحجاز والحكومات المغولية تحكمت فيها ـ سلباً وإيجاباً ـ العلاقات بين هذه القوى المغولية مع السلطة المملوكية في مصر.

ـ أن تقديم الأعمال الخيرية المغولية في بلاد الحرمين جاء تعبيراً عن صدق انتمائهم لهذا الدين، ورغبة في إرضاء أتباعهم من المسلمين، وسعياً لتغيير صورة المغول الوحشية التي ظهروا عليها خلال هجومهم على الدولة الإسلامية.

---

(١١١) ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص١٠٢.

ـ كان للمشاكل التي تحدث في العراق والمشرق الإسلامي أثر في الحد من الأعمال الخيرية لحكومات هذه الأقاليم في بلاد الحرمين الشريفين.

ـ أدى التقارب بين المغول من جهة والمماليك وأشراف مكة من جهة أخرى إلى تهيئة مزيد من الفرص للحجاج القادمين من العراق وبلدان المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحج في كثير من السنوات دون منغصات أو مضايقات. كما فتح هذا التقارب ـ أيضا ـ المجال لعدد من أشراف مكة للخروج إلى العراق وبلدان المشرق الإسلامي طلباً للرزق والهبات من حكومتها.

ـ تعددت السلطات المغولية المقدمة للأعمال الخيرية في بلاد الحرمين الشريفين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فشملت كل من الدولة الإيلخانية، والدولة الجلائرية، والدولة التيمورية، فضلاً عن الدولة المظفرية التي كانت تابعة للمغول.

ـ لم تقتصر الأعمال الخيرية القادمة من العراق وبلدان المشرق الإسلامي على الحكومات فقط، وإنما شملت أيضاً الأتباع من الأمراء والأعيان والأثرياء وغيرهم.

ـ تنوعت الأعمال الخيرية المقدمة من المغول وأتباعهم فشملت إقامة المرافق الخدمية وصيانة القائم منها، ودعم الحركة العلمية، فضلاً عن تقديم الهبات والهدايا والصدقات.

ـ إن تـأثير الأعمـال الخيريـة المقدمـة مـن المغـول وأتبـاعهم كـان واضحاً، حيث جاء في وقت تزايدت الحاجة إليها في ظل تزايد أعداد القادمين إلى الحرمين الشريفين، فضلاً عن تكاثر القاطنين فيهما.

ـ قام المغول بأعمال معينة فاقت ما قدمه غيرهم حينذاك، ولعل من أبـرز ذلـك إجـراء عـين عرفـات بمكـة، وإقامـة المدرسـة الجوبانيـة فـي المدينـة، التـي لـم يكـن لهـا نظيـر فـي الأقـاليم الإسـلامية، وفـق مـا ذكـرت بعض المصادر.

ـ كان لركب الحج القادم من العراق ومشرق الدولة الإسلامية أثر في دعم الوضع الاقتصادي في المدينتين المقدستين، ودور في تحسين الأوضاع المعيشية لسكانهما.

ـ أن الأعمـال الخيريـة التـي قدمت مـن المغـول لـبلاد الحـرمين قـد خصص لها من الأوقاف ما ساعد على قوة أدائها واستمرارها فترة أطول لتؤدي الدور المنوط بها.

ـ أن مكة قد حظيت بأعمال خيرية من قبل حكام المغول وأتباعهم أكثر ممـا نالتـه المدينـة، وربمـا يكـون لحكـام مكـة مـن الأشـراف أثـر فـي إغراء هؤلاء، وتقديم التسهيلات لهم للقيام بهذه الأعمال الخيرية، خاصة في ظل قوة العلاقات بين الطرفين.

هذا بالإضافة لنتائج أخرى سيجدها ـ بإذن الله ـ المطلع على هذا البحث، الذي آمل أن أكون قد وفقت فيه، وأن يكون أضاف جديداً ومفيداً

لمكتبتنا التاريخية العربية، وأسال الله السداد في القول والعمل، إنه القادر على ذلك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).
ـ *رحلة ابن بطوطة*. بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م).
ـ *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. القاهرة: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
ـ *إنباء الغمر بأبناء الغمر في التاريخ*. بيروت: ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
ـ *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*. بيروت: دار الجيل، (د. ت).
الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
ـ *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، المعروف بابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٧م).
ـ *الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين*،تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، (د. ت).
الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
ـ *العبر في خبر من غبر*. تحقيق: محمد السيد زغلول، بيروت: ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
ـ *ذيل تاريخ الإسلام*. تحقيق، مازن بن سالم باوزير. الرياض: ط١، دار المغني، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م).

ـ *التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة*. عني بنشره، أسعد طرابزوني الحسيني، القاهرة: ١٣٩٩ـ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
ـ *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. بيروت: دار مكتبة الحياة، (د. ت).
السمهودي، علي بن أحمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)
ـ *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*.تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: ط٤، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
الطبري، علي بن علي بن فضل (١١٧٣هـ/١٧٥٩م).
ـ *إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن*.تحقيق، محسن محمد سليم. القاهرة: ط١، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٦م.
ابن الضياء المكي، محمد بن أحمد (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م).
ـ *البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق*. تحقيق، عبد الله نذير مزي. مكة المكرمة: ط١، المكتبة المكية، بيروت: دار الريان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
ابن عربشاه، أحمد بن محمد الدمشقي (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م).
ـ *عجائب المقدور في نوائب تيمور*. تحقيق، أحمد فائز الحمصي، بيروت: ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
العصامي، عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م).
ـ *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*، القاهرة: المطبعة السلفية، (د. ت).
الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي (ت بعد ٩٠٠هـ/١٤٩٥م).
ـ *التاريخ الغياثي (الفصل الخامس)*. تحقيق، طارق نافع الحمداني. بغداد: مطبعة سعد، ١٩٧٥م.
ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م).
ـ *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (دولة المماليك الأولى)*، تحقيق، دوروتياكرافولسكي. بيروت: ط١، المركز الإسلامي للبحوث، ١٤٠٧هـ/١٩٨١م.

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م).
ـ *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت: ط١، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
ـ *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*. تحقيق، فؤاد سيد، بيروت: ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
ابن فرحون، عبد الله بن محمد (ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م).
ـ *تاريخ المدينة المنورة، المسمى: نصيحة المشاور وتعزية المجاور*. تحقيق، حسين محمد علي شكري. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، (د. ت).
ابن فهد، نجم الدين عمر بن فهد بن محمد المكي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م).
ـ *إتحاف الورى بأخبار أم القرى*. تحقيق، فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة: ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
ـ *الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*. تحقيق، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط١، بيروت: دار خضر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م).
ـ *القاموس المحيط*.بيروت: ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.
ـ *المغانم المطابة في معالم طابة*. المدينة المنورة: ط١، مركز دراسات وبحوث المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
القرماني، أحمد بن يوسف (١٠١٩هـ/١٦١٠م).
ـ *أخبار الدول وآثار الأول*. تحقيق، فهمي سعد، وأحمد حطيط. بيروت: ط١، عالم الكتب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

ـ *درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة*. تحقيق، محمود الجليلي. بيروت: ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
ـ *السلوك لمعرفة دول الملوك*. تحقيق، محمد مصطفى زيادة، القاهرة: ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.
ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
ـ *البداية والنهاية*. تحقيق: د. أحمد أبو ملحم ورفاقه. بيروت: ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).
ـ *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، بيروت: ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
المطري، جمال الدين محمد بن أحمد (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م).
ـ *التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة*. تحقيق، سليمان الرحيلي. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
ابن النجار، محمد بن محمود (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م).
ـ *أخبار مدينة الرسول*.تحقيق، صالح محمد جمال. مكة المكرمة: ط٣، مكتبة الثقافة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٥م).
ـ *الإعلام بأعلام بيت الله الحرام*. تحقيق: هشام عبد العزيز عطا. مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
ـ *تاريخ ابن الوردي*، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ثانياً: المراجع

برتولدشبولر.

ـ *العالم الإسلامي في العصر المغولي*. ترجمة، خالد أسعد عيسى. دمشق: ط١، دار حسان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
حسين عبد العزيز شافعي.
ـ *الأربطة في مكة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي*. جدة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
خالد عبد المحسن الجابري.
ـ *الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي*. جدة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
ستانلي لين بول.
ـ *الدول الإسلامية*. ترجمه من التركية، محمد صبيحي فرزات. دمشق: مطبعة الملاح، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
شعبان طرطور.
ـ *الدولة الجلائرية*. القاهرة: دار الهداية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
ضيف الله يحيى الزهراني.
ـ *أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)*. مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
عباس إقبال.
ـ *تاريخ إيران بعد الإسلام (منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية)*. نقله عن الفارسية، محمد علاء الدين منصور. القاهرة: دار الثقافة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
ـ *تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية*. ترجمة، عبد الوهاب علوب. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
عباس العزاوي.
ـ *تاريخ المغول بين احتلالين*. بغداد: ١٩٥٢ـ ١٩٥٦م.
محمد بن أحمد الصباغ.

ـ *تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام*. تحقيق، عبد الملك بن دهيش. مكة المكرمة: ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

محمد سهيل طقوش.

ـ *تاريخ المغول العظام والإيلخانيين*. بيروت: ط١، دار النفائس، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

محمد سهيل طقوش.

ـ *تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام*. بيروت: ط٢، دار النفائس، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

نوري عبد الحميد العاني.

ـ *العراق في العهد الجلائري (٧٣٨ ـ ٨١٤هـ/١٣٣٧ ـ ١٤١١م)*. بغداد: ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م.

Charity Works of the Mongol Rulers in the Two Holy Mosques in the Eighth and Ninth Centuries AH / Fourteenth and Fifteenth Centuries AD

Prof. Abdulaziz bin Rashid Al-Seneidi
Department of History, Qassim University

Abstract. The Mongol forces succeeded in subduing the eastern part of the Islamic State and Iraq under their rule following the elimination of the Abbasid Caliphate and the establishment of the Mogul State known as the Elkhanian State in 656 AH / 1258 AD. Since reign of Elkhanian, Ahmed Tekodar, (681-683 AH / 1282 -1284 AD) the Elkhanian Mongol State entered a new phase when this ruler declared his Islam. This was solidified after Chazan Ben Aragon, who was keen on attracting the largest possible number of the Mongols to Islam, took power (694- 703 AH / 1295 -1304 AD) and made Islam the official religion of the State. Therefore, the Elkhanian Mongol State became a defending force of Islam, and was keen on spreading Islam. The Elkhanian rulers had the aspiration to provide service to the country of the Two Holy Mosques as an expression of the sincerity of belonging to this religion, a desire to please their Muslim followers, and an initiative to change the brutal image of the Mongols in which they appeared during their attack on the Islamic state.

This research is limited to countries that had Moghul rulers and their followers who had obvious charitable contributions to the country of the Two Holy Mosques, including Elkhaniera, Algelaúria, and Timurid states. The research will also include research efforts of Almazvria state and its followers because its rulers had been under the rule of the Elkhanian Mongol State for a period of time.

It is worth mentioning that these charity works were realized in the provision of donations and gifts to the Asharaf, citizens, and neighbors of the Two Holy Mosques in addition to the establishment of a considerable number of charitable reform projects in Mecca and Medina and the holy sites and the leading roads.